

الامد بهدف انشاء الدولة الديمقراطية الشعبية في فلسطين .

الا اننا لا نوافق الكاتب على ان وجود مثل هذه الدولة الديمقراطية في فلسطين مرهون بتكامل النضال في مختلف اجزاء الوطن العربي ! والواقع ان الخطأ الذي انزلق اليه قد استبدته أساسا-من تصور الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لهذه المسألة . ( وكما قلنا سابقا ان كتاب العظم يعبر عن تنامي القوى الوطنية الجديدة الصاعدة بكل ما تحمله هذه القوى من ايجابية وتصور ) . ونحن ، بالطبع ، نرفض مع العظم ، اقليمية الدولة الديمقراطية في فلسطين او تحولها الى كيان لا ثوري . ولكن ذلك لا يعني ، بالمقابل ، رهن وجودها بتكامل نضج النضال العربي المعادي للامبريالية في الوطن العربي ككل . يقول الكاتب : « لا يمكن تحرير فلسطين بدون القضاء على الوجود الامبريالي وتفرداته في المنطقة .. » او قوله : « ان الحل الثوري الجذري للمشكلة القومية لا يمكن أن يتأتى الا على نطاق الوطن العربي بأسره » ! ان النتيجة المنطقية لمثل هذا التصور هو التعمير المطلق .. يضاف الى ذلك خطأ هذا التصور ، من الناحية التاريخية والسياسية . فنحن نعرف ، انطلاقا من المفهوم المادي التاريخي ، ان مستويات النضال تتعدد وتتفاوت من قطر الى آخر .

ان تكوين دولة ديمقراطية في فلسطين مرهون ، بالدرجة الاولى، بتنامي النضال الفلسطيني والعربي الوطني في المنطقة المحيطة باسرائيل اولا . أما في المستقبل البعيد ، فما لا جدال فيه ، ان مثل هذه الدولة ستكون جزءا من الدولة الشعبية الممتدة على نطاق الوطن العربي . وذلك عندما يتطور النضال المتفاوت في تلك الاقطار الى المستوى الذي سبقته اليه الاقطار الاخرى .

وننتقل الان الى دراسة الكاتب « نحو فهم افضل للفكرة الصهيونية » التي يمكن اعتبارها اهم فصول الكتاب من الناحية المنهجية . فبعد ان يرفض الكاتب الاساليب العربية الشائعة في دراسة الصهيونية مثل : ( ١ ) الاسلوب الاخلاقي - الخطابى ( ٢ ) واسلوب « التفسيرات التامرية » ، ( ٣ ) اسلوب التفسير الاعلامي الحقوقي ( ٤ ) والاسلوب الديني الغيبي الشائع ، الذي يؤدي الى نوع من المطلق السحري ، ينطلق لتفسير الظاهرة الصهيونية على اساس تاريخي كما نشأت

تنظر الى تاريخ الشعب اليهودي كما ننظر الى غيره من المجتمعات البشرية فقد « كان اليهود خاضعين باستمرار لعمليات انصهار وفرنز دائمة في مراحل تطوهم التاريخية . عمليات فرنز انتجت اليهودي التاجر الغريب المرابي ، وعمليات دمج مستمرة ايضا انتجت اليهودي المزارع والحرفي والبورجوازي الصغير والراسمالي المنسجم مع عصره وبيئته » . ( دراسات .. ص ٣٤ ) .

اما دراسة العظم « الصهيونية كظاهرة استعمارية » فهي تعتبر تطورا لدراسته الجيدة في كتابه « النقد الذاتي بعد الهزيمة » عن نوع العلاقة التي تربط بين الاستعمار والصهيونية . الا انه لم يتبع هنا تاريخ تطور العلاقة بينهما في كل مراحلها ، بل اقتصر على ملاحظة نوع العلاقة التي نشأت بينهما ، بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا يعني ان المنهج التاريخي الذي يدعو اليه الكاتب كان يستخدم ، احيانا ، بطريقة استشهادية متقطعة للبرهنة على صحة المطلق العتلية . اي انه لم يعتمد عليه كمنهج للتليل بصورة متماسكة .

وربما تكون طبيعة الكتاب ، المكون من مجموعة من المقالات التي لا يربط بينها نفس الرباط المتنامي الذي يميز كتابا متماسك الموضوع ، قد حالت دون اعطاء هذه المعالجة بعدها التاريخي المطلوب . ومن ناحية اخرى ، نستنتج ان مستوى المنهج التاريخي ، الذي يتبناه الكاتب ، كان يتذبذب ، في بعض الاحيان ، بين التليل المادي التاريخي وبين المعالجة العقلانية المجردة . واعتقد كذلك ان تطبيق المنهج التاريخي لم يكن متماسكا وجليا في عدد من القضايا والمنطلقات الاخرى ، وعلى سبيل المثال ، ذلك التصور القائل بأن البورجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار تسيطر على السلطة السياسية في بعض البلدان العربية ! كما انه بإمكاننا ان نناقش الكاتب حول تصوره لتحرير فلسطين . ولكن يجب ان نسجل اولا بأننا نوافق على كثير من المنطلقات المبدئية الأساسية مثل : ان التحرير لا يعني رمي اليهود في البحر كما كان يروج التفكير الشوفيني القومي ، وهو كذلك ليس معركة الجيوش النظامية فقط كما تدمي بعض الانظمة ، بل هو « معركة تشمل الشعب العربي بأسره وبكل طاقاته ضد قوى امبريالية عاتية » . ( دراسات .. ص ٥٥ ) . وهذه المعركة لا تتحقق ، بالتالي ، عن طريق الخطب والاماني بل عن طريق الكفاح الشعبي المسلح واستراتيجية الحرب الطويلة